تعليم الصغار

الطريقة المقيدة والطريقة الحرة

وقع خلاف بين بعض المدرسين على اي هاتين الطريقتين اصلح لتعليم الصغار ولاسيما تعليمهم اللغات الاجنبية

والطريقة المقيدة هي طريقة تعليم الصغار لغةً اجنبية بترجمتها الى لغتهم

والطريقة الحرة هي ضد ذلك ولا تجوز الرجوع الى اللغة الاصلية او الترجمة اليها الاَّ في ما ندر بن تقضي بان يكون تعليم اللغة الاجنبية باللغة نفسها

لا احد ينكر ان التعليم حسب الطريقة المقيدة اسهل على المعلم في الابتداء اذ لا يحتاج معها الى اعمال فكر ولا الى مقدرة لادارة افكار الصغار . ولكنها لا تؤدي الى المقصود وهو تمكين التلميذ من استعمال اللغة الاجنبية تكلماً وكتابةً بدون تكلف . فهي تقيد مجاري افكار الصغير بلغته فلا يتخلص من هذا التقييد كل حياته اذ ان التلميذ الذي يعتاد في صغره ان يلبس افكارهُ كلمات لغتهِ ثم يترجمها الى اللغة الاجنبية التي يريد التكلم او الكتابة بها لا يقدر ان يتخلص في كبره من هذا القيد الاَّ بصعوبة

وعدا عن ذلك فان الطريقة المقيدة ضد الطبيعة على خط مستقيم لاننا نرى الصغير يتعلم اللغة التي يولد في اهلها بسماعها ممن حولهُ وهو لا يعرف لغة اخرى ثم اذا سلَّم لمربية انثيا غير لغتهِ تعلم لغتها . نعم انهُ لا يفقهُ كلامها في اول الامر ولكنهُ لا يلبث ان يبدأ يفهمهُ ثم يصير يتكلم لغة مربيتهِ كانهُ احد ابناء تلك اللغة لكونهِ اعتاد استعمال اصطلاحاتها بدون ترجمة

فلماذا لا نتبع الطريقة الطبيعية ؟ ولماذا نقيد الصغير المسكين بقيود الترجمة التي تكون عائقاً لافكارهِ في كبرهِ ؟ لماذا نستعمل الطريقة المقيدة المضرة ولا نستعمل الطريقة الحرة

ورب معترض يقول : ولكن اصول التعليم تقتضي ان يفسَّر المجهول بالمعلوم والصغير يعرف لغتهُ ويجهل اللغة الاجنبية . وهذا الاعتراض في محلهِ ولكن الاولى اتباع الطبيعة

وقبل ان نبدأ بشرح الطريقة الحرة يجدر بنا ان نقول كلمة في علاقات المعلم بتلميذهِ

يدخل الصغير المدرسة لكي يتلقى علوماً مختلفةً ويتقن لغتهُ ويتعلم لغةً اجنبية تساعدهُ على المباراة في سباق الحياة . ويكون قد سمع كثيراً عن المدرسة وصرامة قوانينها والمدرس

وقسوته . ولكنهُ لا يلبث ان يرى من مدرسهِ لطفاً وبشاشةً يخففان ما بهِ من الخوف . يرى الرفق والحنان والشفقة في معلمهِ فيركن اليهِ ويفتح قلبهُ لقبول الدروس التي يلقيها عليهِ . يرى مدرسهُ يعاملهُ بالتودُّدة ويرثي لضعفهِ ويصلح هفواتهِ بمحبةٍ واخلاصٍ واستقامة وبشجعهُ بكلام لطيف فتنبت في قلبهِ المحبة التي لا تفتأُ ان تزداد يوماً فيوماً الى ان يصير غرسها شجرةً متينة لا تزعزعها رياح الطعن وكلام المفسدين . ومن البديهي ان التلميذ يحترم مدرسهُ اذا رأى فيهِ الاستقامة والعدل والصفات الاخرى الحميدة التي يجب على كل معلمٍ ان يتحلى بها . واساس هذا الاحترام يوضع في ساعاتٍ قليلةٍ بعد دخول الصغير الى المدرسة

ولنرجع الى ما كنا في صددهِ من الكلام على الطريقة الحرة ونظر في كيفية العمل بها في درس الاشياء كما يسميهِ الانكليز او درس المنظورات كما يسميهِ الالمان والاليق ان تسميهُ في العربية درس المحسوسات لان المقصود بهِ درس الاشياء التي نراها او نلمسها او نذوقها او نشم رائحتها او نسمع صوتها اي الاشياء التي ندركها بالحواس

ليس بالامر الهين على المدرس ان يُفهم الصغار ما يريد بلغة اجنبية ولكن المدرس الحاذق صاحب الخبرة لا يعتمد على كثرة الكلام بل يدير الصغار بالنظر والاشارة او يدل بملامحهِ على ما يريد . والاذكياء الصغار يفقهون بالعجل ما هو المطلوب منهم . اقول الاذكياء لان الصغار يتنبهون لادنى الحركات ويفسرونها تفسيرها الحقيقي . فلذا وجب على كل مدرس ان يقتصد في كلامهِ بقدر الامكان ويعود الاولاد على الكلام

يبتدئ المعلم باسماء الاشياء التي تكون في غرفة الدرس عادةً كالطاولة مثلاً فيشير اليها ويسميها باللغة التي يريد تعليمها فيقول (The table) بصوت واضح عالٍ ولفظٍ صحيح اذا كان يريد تعليم الانكليزية . ثم يشير الى اشجع الصغار أن سمِّ الشيء ويشير (اي المدرس) الى الطاولة . وبالطبع يشير الصغير الى الطاولة ولكنهُ لا يمكنهُ ان يتلفظ بتلك اللفظة الغريبة . فيكررها المعلم باللفظ الواضح وعند ذلك يقلدهُ الصغير في التلفظ بها وان لم يجُد ذلك بدءًا . ويجب ان يتلفظ كل تلميذ بتلك الكلمة اولاً ثم يكررها الجميع معاً بصوت واحد وتكرار التلاميذ الالفاظ معاً لهُ اهمية كبيرة في تعلم اللغات

ويسير المعلم على هذه الخطة الى ان ينتهي من الاشياء التي في الغرفة او التي يرى ان معرفتها مهمة للصغير في الابتداء . ويجب ان لا تفوتهُ الاشارة الى الشيء عند ذكر اسمهِ

ومما يزيد الصغير رغبة في التعلم العمل بما يتعلم ولذا وجب على المعلم ان يستعمل كل الوسائل لجعل الصغير يعمل في المدرسة . مثال ذلك : عند ما يريد المدرس ان يعلم الصغار اسم الكجة يرفعها في يده ويذكر اسمها حسب المعتاد ويشير الى احد الصغار ان يسميها ومن ثم يعطيها الى ثانٍ فيسميها وبعدها يشير الى الثاني ان يرميها الى ثالث ومن ثم الى رابعٍ وهلم جرًّا . ومن يختبر التعليم يعرف ما لذلك من الفائدة في ترغيب الصغار . وبعد ان ينتهي المدرس من أسماء الاشياء المعروفة ينتقل الى تركيب جمل بسيطة مركبة من كلمتين مثل : انا اقفز الكجة تتدحرج . الولد يقف انا اجلس نحن نقف وهلم جرًّا . ويجدر بالمعلم ان يتبع في ذلك طريقة العمل اي ان يقفز عند ما يقول انا اقفز ليدل بعمله هذا على ما يقول . وعند اول قفزة يقفزها المدرس يضحك الصغار من عمل معلمهم مستهجنين لا مستحسنين به كما يظن لاول وهلة ويفهم كل منهم المراد من القول اذ يرونهُ مقرونًا بما يدل عليهِ . ويتبرون هم انفسهم لتقليد المعلم في قفزهِ ويظهر بعضهم رغبتهُ في ذلك بقولهِ انا انا . او يوقفونهِ في مكانهِ او خروجهِ من محلهِ . والمدرس الحاذق الخبير لا يبادر الى انتهارهم

ولهُ ان يأخذ الكجة ويرميها على المائدة على مرأى من الصغار فتتدحرج فيشير اليها ويقول : الكجة تتدحرج ثم يأخذها ويدحرجها ثانيةً ويشير الى احد الاولاد ان يقول ما الذي تفعلهُ الكجة . ثم يسلمها الى واحد آخر ليدحرجها ويكرر العبارة وهكذا الى ان ترسخ العبارة في اذهانهم

ويمكنني سرد كثير من الاشياء والكيفيات التي يمكن للمدرس ان يوقظ بها انتباه الصغار ويجعلهم يلتذون بالدرس فيستغني بذلك عن استعمال الارهاب والشدة . وهذا اهم اصول التعليم اي ان يعلم الصغير عن طريقةٍ لا يدري معها انهُ يتعلم

وخلاصة القول انهُ يجب على المعلم ان يتلفظ بالكلمات بوضوح وان يقتصد في كلامهِ ويستعمل الاشارات وتعبير الملامح عوضًا عن كثرة الكلام

وعليهِ ان يجعل كلاًّ من تلاميذهِ يردد الالفاظ والجمل الى ان يتقن التلفظ بها ثم يجعل تلاميذ الفرقة كلها يرددونها سوية بصوت عالٍ ولا يعدل عن ذلك مطلقًا فانهُ ادعى الى ترسيخ الالفاظ التي يتعلمها الصغار في اذهانهم . وعسى ان يطرق المعلمون وغيرهم ممن يهمهم الامر هذا الموضوع ويبدوا آراءهم فيهِ فانهُ يهم البلاد الشرقية كثيرًا

امين حداد